
5
قصص
المبشرون
بالجنة
حبيب الرسول
وجاره فى الجنة
سلوى العنانى
دار اللطائف

حبيب الرسول وجاره فى الجنة

(الزبيرُ بنُ العوامِ)

كان الإسلام مازال غريبا فى مكةَ .. لم يؤمن بـه إلا قلـةٌ قليلةٌ تعيشُ فى عزلةٍ فرضتها عليها قوى الطغيانِ .. فبوّروا تجارةَ التجارِ .. ونـحُّوا الزعمـاءَ عـن زعامتـهم .. وبقـى المسلمون يستخْفُون فى دارِ (ابن الأرقمِ) يتقـابلون سـرًا .. ويصلُّون خفيةً ويتدارسون القرآن همسًا .. وشاع فـى مكـةَ أن (محمدًا) قد قُتل ..

واستل الفتى (الزبيرُ) سيفَه وشهره عاليـا ، وراح يجرى فى طرقات مكةَ يتيقن من الخبرِ ، وهو يقسم فى نفســه أن يطيح برقابِ أهلِ مكةِ كلها إذا كان الخبر صحيحا ..

ولقيه الرسولُ وهو فـى حالتـه هـذه .. فـهدَّأ مـن روعـه وباركه وصلى عليه ودعا له بالخيرِ ولسيفه بالغلبةِ ..

فمن هو (الزبيرُ) .. هذا الفتى المسلمُ القـويُّ الجرىء ..

هو (الزبير بن العوام) ابـنُ السيدة (صفية) بنت عبد المطلبِ عمة النبى عليه السلامُ ..

ويلتقى نسبُ الزبير مع نسبِ النبى محمـدٍ فى جدهما الرابع (قصى بن كلاب) .

أسلم الزبيرُ مبكرًا .. وكان لم يزل فتى فى حوالى الخامسة عشرة .. ويقال فى الحادية عشرة .. لهذا فقد تعرض لتعذيب مبرح من عمه الذى كان يلفه بحصير ويعلقه من قدميه ثـم يدخن عليه بالنار حتى يكاد يختنق ثم ينادى عليه ..

ـ اكفر بربِ محمد أدرأ عنك هذا العذابَ .

فيجيبه الفتى المؤمن :

ـ لا .. والله لا أعود للكفر أبدًا ..

ويـهاجر (الزبـير) إلى الحبشـة فـى الهجرتـين : الأولى والثانية ، هربا من هذا العذابِ وهذا الاضطهادِ ، ثم يعـودُ

إلى جوار رسولِ الله ويتزوج من أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) ..

هكذا يلتقى رجل مبشَّر بالجنة مع فتاة مبشَّرة بالجنة فى زواج يرزقان منه بسبعة من الأولاد ، حملوا جميعا أسماء شهداءِ الدعوة الإسلامية ، فقد كان أبوهم يتمنى أن ينالوا شرف الشهادةِ مثل سابقيهم ..

شهد (الزبيرُ بنُ العوام) كل غزوات رسول الله وله فى كل موقعةٍ بطولاتٌ تشهد عليها هذه الروايةُ التى قصها علينا واحد من أصحابه .. الذى يقول :

"صحبت (الزبيرَ بنَ العوام) فى بعض أسفاره ورأيت جسده .. مجذعا بالسيوف ، وإن فى صدره لأمثال العيون الغائرة من الطعن والرمى ..

فقلت له : والله لقد شاهدتُ بجسمك ما لم أره بأحد قط ..

فقال لى : أما والله ما منها جراحةٌ إلا مع رسـولِ الله وفـى سبيلِ الله" ..

فهل نقـف مـع (الزبـيـر بـن العـوام) فـى (غـزوة بـدر الكبرى) فى أولى هذه المواقع الكبرى التى شهدها الصراع العسكرى بين الكفر والإيمان؟

حشـدتْ قريـش هـذا اليـومِ عُدتـها مـع خـيرِ فرسـانها يتصدرهم أشهرُ فرسانها (عبيدةُ بـنُ سـعيد بـن العـاص) المشهور بشدته وبطولته النادرةِ وفروسيته الفذةِ ..

وقف (ابن العاص) فى مقدمةِ الصفوف متدرعا من قمةِ رأسه إلى أخمص قدميه متحديًا من (يتهور) ويجازف بمنازلتـه ..

لكن من يقدر على هذا الفارسِ المشهودِ له وقد اختفـى كل جسمه تحت الدروع ولم يعد يرى منه إلا عيناه ..

وتقـدم إليـه الزبـيرُ بـنُ العـوام .. وراح يلـف حولـه

ويدور ويفكر ..

وفجأةً دفع الزبير رمحه القصيرةَ (العنزة) ووجَّه بها طعنةً نافذة بإذن الله اخترقت عين (ابن العاص) لتستقر في مؤخرة رأسهِ ..

وانطلقت صرخةُ الفزعِ والألمِ من عدو الله وهو يسقط جثة هامدةً أمام باقي المشركين الذين كانوا يعقدون عليه الآمال الكبارَ .

هنا دب الفزعُ في صفوفِ قريشٍ .. وعلت صيحات التكبير في صفوفِ المسلمين .. وكانت طعنةُ (ابن الزبير) النافذة بدايةً لانتصارٍ كبيرٍ حققه جندُ الله من المسلمين .. في غزوة (بدر) ..

ولما علم رسول الله بما فعل الزبيرُ دعا له وطلب رمحه القصيرةَ (العنزة) واحتفظ بها تكريما لها ولصاحبها ..

ولم يكن يومُ (بدر) هو فقط يومَ الزبير .. بل كانت كل

أيامِ الإسلام أيامَه ..

يروى عن الزبير أنه ذهب مع (على) كرَّم الله وجهَه إلى أحدِ الحصون المنيعةِ (لبنى قريظة) أثناء حصارهم .. ثم وقفا دون باب الحصن وقالا معا ..

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة(*) أو لنفتحن عليهم حصنهم" ..

ثم اندفعا معا إلى الحصنِ ففتحا بابَه وسط ذهولِ المختبئين فيه ..

ودخله المسلمون بإذن الله مهلّلين مكبرين ..

أما يومُ (اليرموك) فقد كان يوما مشهودًا بين المسلمين والروم فى أرض الشام ..

وكان الروم قد حشدوا جيوشَهم القويةَ الكبيرة .. إلا أن المسلمين لم يهابوا هذا الحشدَ، ولم يرهبوا تلك القوةَ ..

(*) هو حمزة بن عبد المطلب عم النبى محمد الذى استشهد فى موقعة (أحد).

وكيف يهابون وهم يحملون فى قلوبهم إيمانا يحبب إليهم طلبَ الشهادةِ ؟!

اجتمعت مجموعة من أبطالِ المسلمين ، وجاءوا إلى الزبير وقالوا :

ـ ألا تحمل[1] فنحمل معك ؟

ـ قال الزبير : نعم ..

وانطلق الزبيرُ ومِنْ خلفهِ جماعةُ المسلمين يشق الصفوفَ ، لا تمنعه قوةٌ .. شاهرًا سيفه ، حاملا رمحه وراح يقاتل قتالَ الفدائى .. وانتقلت روحُه القويةُ إلى باقى رجالهِ ، فأشاعوا الرعب فى صفوفِ الرومِ ..

وحقق جيشُ الإسلامِ فى اليرموك نصرًا بعد نصرٍ .. وخلد التاريخُ اسم (الزبير بنِ العوام) قائدا .. فدائيا .. مناضلا .. مقداما ..

(1) تحمل : أى تقود حملة أو تشن غارة على الأعداء .

تتابعت فتوحُ المسلمين .. وارتفعت رايةُ الإسلامِ فى عديدٍ من البلاد .. ودخل المسلمين مصر بقيادة (عمرو بن العاص) ..

مضت جيوشُ (عمرو) تطوى أرضَ مصر دون مقاومةٍ تذكر .. فقد رحب المصريون بهذه الدعوةِ ورأوا فيها خلاصا مما يلقونه من ظلمٍ وبطشٍ من جانب الحكم الرومانى .. حتى إذا وصلت جيوشُ المسلمين إلى (حصن بابليون) شعر ابن العاص أنه بحاجة إلى مدد يعاونه على اقتحامِ هذا الحصنِ الذى تمركزت فيه كلُّ قوى الرومان فى مصر .. فكتب إلى (ابن الخطاب) يطلب المساعدةَ .

وأرسل (ابن الخطاب) إلى (ابن العاص) أربعة آلاف جندى بقيادة أربعةٍ من خِيرة القادةِ .. وكتب إليه يقول :

"لقد أمددتُك بأربعةِ آلاف عليهم أربعةٌ من مشاهيرِ الصحابةِ الواحد منهم بألف رجل" ..

فمن هم هؤلاء الصحابةُ الذين يعادل الواحد منهم ألف رجل ؟

إنهم (الزبيرُ بنُ العوام) ، و (عبادةُ بن الصامت) .. و (المقدادُ بن الأسود) ، و (مسلمةُ بن مخلد) .. (عليهم رضوان الله) ..

وتتجه جيوشُ الإسلام بعد هذا الدعم إلى حصن (بابليون) المنيع .. ويشعرُ الجميعُ أن اللحظة حاسمةٌ وأن الموقفَ حَرِجٌ وخطيرٌ .. إنها لحظةٌ فاصلة فى تاريخ نشر دعوة الإسلام ..

ويومها تتجلى عبقريَّةُ (ابن العوام) العسكريةُ وفدائيته .. فقد تسلل إلى أحد جدران الحصن حيث وضع سلما ليصعد عليه ، وطلب من المسلمين أن يجيبوه مجتمعين إذا ما سمعوه يطلق الصيحة الكبرى .. الله أكبر .. ويصعد (ابن الزبير) الحصنَ فى هدوءٍ حتى يرتقى قمتَهُ ثم يطلق

صيحته (الله أكبر) ..

هنا تنطلق خلفه صيحات آلاف من الجنود مكبرةً مرات ومرات .. ويدب الرعبُ فى قلوبِ الرومان ويظنون أن المسلمين قد دخلوا الحصنَ ، ويولون الأدبار هاربين فارين ..

ويتجه (الزبير بن العوام) إلى باب الحصن فيفتحه ، ويدخل المسلمون لينتهى هذا الحصارُ دون إراقةِ نقطةِ دمٍ واحدةٍ .. ليسجل التاريخُ مرة أخرى اسم (الزبير بن العوام) قائدا فذا فى كتاب الجهادِ فى سبيلِ الله .

ويواصل (ابن الزبير) جهاده تحتَ إمارة (عمرو بن العاص) لفتح باقى أقاليم مصر ، ويكون له دورٌ بارزٌ فى فتحِ الإسكندريةِ ..

لله دَرُّكَ أيها المحاربُ الشريفُ .. وأيها المقاتلُ القوى .. فقد وهبت حياتك كلها للنضال فى سبيل الله وفى سبيل دعوته .. ولم تطمع فى أى شىء آخر حتى قيل عنك :

"إنه ما ولى إمارةً قط ، ولا جباية ، ولا خراجا ولا شيئا إلا الغزو فى سبيلِ الله"

كذلك عفّ (الزبير) عن الوظائفِ والمهام غيرِ القتاليةِ رغم أن عائدها كان مجزيا .. ومجهودَها قليل ..

لقد آثر أن يحدِّد هدفَه (نشر دعوة الإسلام) كما أنه حدد وسيلته (الجهادَ فى سبيلِ الله) ..

ولم يكن الزبير مقاتلا فى سبيل رفعةِ الإسلام فقط بل كان باذلا للمال .. أنفق كلَّ ثروتِه فى سبيلِ الله حتى مات وهو مدين ..

لقد أحبه رسولُ الله وقرّبه من مجلسهِ .. فهو المحاربُ القويُّ ، والجوادُ السخى .. والذى أقرض الله قرضا حسنا ..

وكان الرسول يقول عنه :

"لكى نبى حوارىّ .. وحوارىّ الزبير بنُ العوام" .

فها هو ذا النبى يعترف بأن الزبير هو أقربُ الناسِ إلى قلبه وأكثرهم حرصا عليه وتمسكا به نبيا ورسولا وإنسانا عظيما ..

وإننا لنقف أمامَ وصفِ (شاعر الرسول) حسانِ بنِ ثابت للزبير ونتأمل هذه العظمةَ ، وهذا المجدَ الذى صنعه محاربٌ فى سبيل الله بحد سيفه وبسالة عطائه ..

يقول حسان :

أقام على عهدِ النبى وهديه
حَواريّه والقولُ بالفعل يعدلُ

أقام على منهاجِهِ وطريقِهِ
يوالى ولىُّ الحق والحق أعدلُ

هو الفارس المشهورُ والبطلُ الذى
يصولُ إذا ما كان يومُ محجلُ

له مـن رسـول الله قـربى قريبـة

ومـن نصـرةِ الإسـلام مجـدٌ مؤثَّل

فـكـم كـربة ذبَّ الـزبير بسيفـه

عن المصطفى والله يـعـطـى ويجـزل

سلام على الزبير بن العوام .

وسلام على رفيق كفاحه (طلحة بن عبيد الله) اللذين لم يُذكر أحدهما إلا وذكر الآخرُ .

فقد تشابها وتزاملا ..

أسلما فى عام واحد ..

وقتلا فى يوم واحد ..

ودفنا متجاورين ..

بشرهما النبى ﷺ بالجنة معا عندما قال :

(طلحة والزبير جاراى فى الجنة) .

